

الكميت بن زيد

شاعر العصر الروائي

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٤ —

—>>>><<<<—

وأما الرواية الثانية في سبب النافرة بين الكميث وخالد بن عبد الله فقد نقلها أبو الفرج الأصبهاني من كتاب محمد بن يحيى الخراز ، قال حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب ، قال حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي ، قال : كان حكيم بن عباس الأعور الكلبي ولما بهجاء مضر ، فكانت شعراء مضر يجيئه ويحييهم ، وكان الكميث يقول هو والله أشعر منكم . قالوا فأجب الرجل ، قال إن خالد بن عبد الله القسري محسن إلي فلا أقدر أن أرد عليه . قالوا فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ؛ وأنشدوه ذلك ، فحفي الكميث لمشيته فقال الذهبية :

« أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا »

فأحسن فيها ، وبلغ خالداً . خبرها ، فقال لا أبالي ما لم يجز لبشيرتي ذكر ، فأنشدوه قوله :

ومن يجيب على لَمَسْرُ أُمِّ غَدَتِكَ وَغَيْرِ هَانِيَا عَيْنَا
تَجَاوَزَتِ الْمِيَاءَ بِلَا دَلِيلِهِ وَلَا عِلْمٍ تَسْتَسْتَعِظُ حَظِيئَاتِنَا
فَانَاكَ وَالتَّحْوِيلَ مِنْ مَعْدِنِ كَهَيْلَةِ قَبْلِنَا وَالحَالِيئِنَا
تَخَطَّتْ خَيْرَهُمْ حَبْلِيَا وَنَشَا إِلَى الْوَالِي الْمَقَادِرِ هَارِيئِنَا
كَمَنْزِ السُّوءِ تَنْطَحُ عَالِقِيهَا وَتَرْمِيهَا عِصِي النَّابِجِيئِنَا
فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدًا فَقَالَ : فَعَلِمَا ! وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ . ثُمَّ اشْتَرَى ثَلَاثِينَ

جارية بأعلى ثمن ، وتخيروهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب ، فرواهن الهاشميات ، ودهسن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهن جميعاً . فلما أنس بهن استنظفهن فرأى فصاحة وأديباً ، فاستقرأهن القرآن ، واستنشدن الشعر فأنشدنه قصائد الكميث الهاشميات ، فقال : ويلكن من قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميث بن زيد الأسدي ، قال : وفي أي بلد هو ؟ قلن : في الدراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد : ابعث إلى برأس

الكميت بن زيد . فبعث خالد إلى الكميث في الليل فأخذه وأودعه السجن . ولما كان من الندأ أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام واعتذر إليهم من قتله ، وأذهبهم في إنفاذ الأمر فيه في غد . فقال لأبان بن الوليد البجلي وكان صديقاً للكميت : أنظر ما ورد في صديقك ، فقال عز عليّ والله ما به . ثم قام أبان فبعث إلى الكميث فأنذره فوجه إلى امرأته ، ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه كما ذكر من تقدمه ، وقال فيه : فأتى مسلة بن عبد الملك فاستجار به ، فقال : إني أخشى ألا ينفعك جوارى عنده ، ولكن استجر بابنه مسلة بن هشام ، فقال : كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك . ففعل مسلة . وقال لابن أخيه : قد أتيتك بشرف الدهر ، واعتقاد الصنيعة في مضر ، وأخبره الخبر فأجاره مسلة بن هشام ، وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ثم قال : أجب علي أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا ولكني انتظرت سكون غضبه . قال : أحضرني الساعة ، فإنه لا جوار لك . فقال مسلة للكميت : إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال : كلا ولكني أحتال لك . ثم قال له : إن معاوية ابن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره ، وأنا أمث إليك بينه يكونون معك في الرواق فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ، ويقولوا هذا استجار بقبر أيتنا ، ونحن أحق من أجاره فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر . فقال :

من هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر . فقال : يجاز من كان إلا الكميث ، فإنه لا جوار له ، ثقيل : فإنه الكميث ، قال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أيتنا وقد مات ، ومات حظه من الدنيا ، فأجمله هبة له ولنا ، ولا تفضحتنا فيمن استجار به . فبكي هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميث فقال له : يا كميث أنت القائل :

وإن لا تقولوا غيرها تتمرّ قوا نواصيا تردى بنا وهي شربُ
فقال : لا والله ولا أمان من أت الحجاز وحشية ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال : أما بعد — فإني كنت أتهدى في غمرة ، وأعموم في بحر غواية ، أخنى علي خطيها ، واستفزني وهلها ، فتجبرت في الضلالة ، وتسكمت في الجهالة ، مهرها عن

الحق ، جازراً عن القصد ، أقول الباطل ضللاً ، وأفوه بالبهتان
وبالآ ، وهذا مقام العائد مبصر الهدى ، ورافض العاية ، فاعسل
عنى يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن
الجرمة ، ثم قال :

كم قال قائلكم لما لك عند عثرته لما رز
وغفرتم لدوى الذنوب من الأكارو والأصاغر
أبني أمية إنكم أهل الوسائل والأوامر
ثقتي لكل ملة وعشيرتي دون المشائر
أنتم معادن للخلافة كابرأ من بعد كابر
بالسعة التتأبين خلافةً وبخير عاشر

وإلى القيامة لا ترأ ل لشافع منكم ووار
ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين
ومباحته وصباحته مناط المنتجعين بحبله ، من لا تحمل حيوته لإساءة
الذنبين ، فضلاً عن استشاطه غضبه ببجل الجاهلين

فقال له : وبلك يا كيت ، من زين لك الفوايه ، ودلاك في العاية ؟
قال : الذى أخرج أبانا من الجنة ، وأنساء العهد فلم يجد له عزما
فقال : إيه أنت القائل :

فيما وقد نأراً لغيرك ضوها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب
فقال : بل أنا القائل :

إلى آل بيت أبي مالك مناخ هو الأرحب الأسهل
نمت بأرحامنا الداخلات من حيث لا ينكر المدخل
بميرة والنضر والمالكين رهط هم الأنبل الأنبل
وبارى خزيمة بدر السما والشمس مفتاح ما نامل
وجدنا قريشاً فريش البطاح على ما بنى الأول الأول
بهم صلح الناس بعد الفسا دوحيص من الفتق مار عبسوا
قال له : وأنت القائل :

لا كعبد الليك أو كولينر أو سليمان بعد أو كهشام
من يمت لا يمت فقيداً ومن يحمي فلا ذو إل ولا ذو ذمام
وبلك يا كيت ، جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ،
فقال : بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى الصاير
والآن صرت بها المصيب كهمته بالأمس حائر
يا ابن العقائل للمقا تل والجحاجة الأخبار

من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكار
إن الخلافة والإلا ف برغم ذى حسد وواغر
دلفا من الشرف التليد إليك بالرفد الموافر
فقلت ممتلج البطاح وحل غيرك بالظواهر
قال له : فأنت القائل :

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيما
أجاع الله من أشبتموه وأشبع من بجوركم أجيما
بمرضى السياسة هاشمية يكون حيا لأتمه ربيما
فقال : لا تتريب يا أمير المؤمنين إن أردت أن تمحو عنى قولى
الكاذب ، قال بماذا ؟ قال بقولى الصادق :

أورثته الحصان أم هشام حسباً نابقاً ووجهاً نضيراً
وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيقاً نظيراً
وكساه أبو الخلائف جرواً ن سنى المكارم الماثوراً
لم تبهم له البطاح ولكن وجدتها له معطياً ودوراً
وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال : هكذا فليكن الشعر
يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد
رضيت عنك يا كيت . فقبل يده وقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت
أن تريد فى تشربني ، ولا تجعل لخالد على إمارة ، قال : قد فعلت
وكتب له بذلك وأسرله بأربعمين ألف درهم ، وثلاثين توباً هشامية
وكتب إلى خالد أن يخلى سبيل أسرته ، ويمطها عشرين ألفاً
وثلاثين توباً ، ففعل ذلك

وأما الرواية الثالثة فقد قال فيها أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني
أحمد بن عبد الله بن عمار ، قال حدثنا النوفلى على بن محمد بن سليمان
أبو الحسن ، قال حدثني أبي قال : كان هشام بن عبد الملك قد
أتم خالد بن عبد الله ، وكان يقال له إنه يريد خلعتك ، فوجد
ياب هشام يوماً رقمة فيها شعر ، فدخل بها على هشام فقرئت
عليه ، وهى :

تألتى برقاً عندنا وتقابلت

أثاب ليقدر الحرب أحمى اقتبالها
فدونك يقدر الحرب وهى مقررة

لكفيك واجمل دون قدر جمالها
ولن تنتهى أو يبلغ الأضر حده
ففسلهما يرسل قبل ألا تنالها

وهي ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان
فعلت ، فقال : ألبسني لبسة النساء ففعلت ، فخرج فر بالسجان
فظن أنه المرأة فلم يعرض له ، فتنجا وأنشأ يقول :

خرجتُ خروجَ القِدْحِ قدْحُ ابنِ مُقَيْلٍ

على الرِّغْمِ من تلكِ النواجِ والمُثَلِّ
على ثيابِ الفانياتِ وتحتها
عزيمَةُ أمرٍ أشبهتْ سَلَّةَ النَّمْلِ

وورد كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه
هشام ، فأرسل إلى الكيت ليؤتي به من الحبس فينفذ فيه أمر
خالد ، فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة وخبرتهم أنها في البيت
وأن الكيت قد خرج ، فكتب بذلك إلى خالد ، فأجابته : حرة
كريمة فدت ابن عمها بنفسها ، وأمر بتخليتها ، فبلغ الخبر
الأعور الكلبي بالشام ، فقال قصيدته التي يرى فيها امرأة الكيت
بأهل الحبس ويقول :

« أُسْوِدِينَا وَاحْمِرِينَا »

فهاج الكيت ذلك حتى قال :

« أَلَا حَيَّتِ عَنَّا يامدِينَا »

وهي ثلثائة بيت لم يترك فيها حياً من أحياء اليمن إلا هجام
وتواري وطلب فضى إلى الشام فقال شعره الذي يقول فيه :

« رِفْ بالديار وقوفَ زارُرُ »

ويقول :

يَا مَسْلُمُ ابنِ أبي الوليدِ لَيْتَ إنْ شئتَ نَأشُرُ

اليومِ صرتُ إلى أُمَيَّةِ والأمورِ إلى الصَّارِ

فأذن له ليلاً ، فسأله أن يبجيره على هشام ، فقال : إني قد أجرت
على أمير المؤمنين فأخفر جوارى ، وقبيح رجل مثل أن يخفر
في كل يوم ، ولكنني أدلك فاستجر بمسلة بن هشام وبأمه
أم الحكم بنت يحيى بن الحكم ، فإن أمير المؤمنين قد رشحه
لولاية العهد ، فقال الكيت : بنس الرأي ، أضيع دى بين صبي
وامرأة ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، مات معاوية بن أمير المؤمنين
وكان يحبه ، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في
كل أسبوع يوماً — وسمى يوماً بمينته — وهو يزوره في ذلك
اليوم ، فامض فاضرب بناءك عند قبره واستجر به ، فإني

فَتَجَسَّمْ مِنْهَا مَا جَسَمَتْ من التي

بِسُورَاءِ هَرَّتْ نَحْوَ حَالِكَ حَالِهَا

تَلَّافَ أُمُورَ النَّاسِ قَبْلَ تَقَاظُمِ

بِمُتَدَّةِ حَزْمٍ لَا تَخَانُ انْحِلَالِهَا

فَا أُرِمِ الْأَتْوَامُ يَوْمًا لِحِيلَةَ

مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا قَلْدُوكَ احْتِيَالِهَا

وَقَدْ تَخَبَّرُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ بِسَرِّهَا

وإن لم تَبُحْ من لا يريد سؤالها

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا ،
فأمر بالآيات فقرئت عليهم ، فقال : شعر من تشبه هذه الآيات ؟
فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكيت بن زيد الأسدي ،
فقال هشام : نعم هذا الكيت بنذرى بخالد بن عبد الله ، ثم
كتب إلى خالد بخبره وكتب إليه بالآيات ، وخالد يومئذ بواسط
فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكيت وجبسه ،
وقال لأصحابه : إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية
فأتوني من شعره هذا بشيء ، فأتوه بقصيدته اللامية التي أولها :
ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل
فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول فيه : هذا شعر
الكيت ، فإن كان قد صدق في هذا ، فقد صدق في ذلك
فلما قرئت على هشام اغتاض ، فلما قال :

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم فتيكم لعمري ذو أفانين مقول
اشتد غيظه ، فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكيت
ورجليه ويضرب عنقه ، ويهدم داره ويصلبه على ترابها . فلما قرأ
خالد الكتاب كره أن يستفد عشيرته ، وأعلن الأمر رجاء أن
يتخلص الكيت ، فقال : لقد كتب إلى أمير المؤمنين ، وإني
لأكره أن استفد عشيرته وسباه ، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة
ابن سميد ما أراد ، فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً ، فأعطاه بغلة له
شقرها فارهة من بغال الخليفة ، وقال : إن أنت وردت الكوفة
فأذرت الكيت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حر لوجه الله
والبغلة لك ، ولك على بعد ذلك إكرامك والاحسان إليك فركب
البغلة وسار بقية يومه وليته من واسط إلى الكوفة فصبحها ،
فدخل الحبس متسكراً ، تغير الكيت بالقصة ، فأرسل إلى امرأته